المشروع المعرفي لعبد الوهاب المسيري

(الصهيونية نموذجاً)

تقديم: الدكتورة راغدة محمد المصري

أستاذ مساعد في الجامعة اللبنانية كلية الآداب والعلوم الإنسانية

raghidamasri@gmail.com

ملخص:

اشتهر عبد الله المسيري بشكل واسع، من خلال رؤيته الفلسفية الحضارية المتعددة الأبعاد، لمشروع تأسيسي تجديدي رسم فيه ملامح حداثة إسلامية حديثة.

وتبرز أهمية دراسة مشروع المسيري الفكري في الذكرى العاشرة لرحيله – تموز ٢٠١٨ –وطرح رؤيته الجديدة في تأصيل ورصد ظاهرة الصهيونية ووظائفها في إطار فكر الحداثة، وعلاقتها بالنازية، والتلاعب بقضية الإبادة، وصولاً إلى حتمية زوالها. تشكّل رؤيته خريطة طريق لكيفية الانتصار على الكيان الصهيوني، في وقت تحاك فيه المؤمرات على مدينة القدس، لتهويدها وطمس قضيتها وتزييف هويتها التاريخية والعربية.

ومن خلال هذه الأهمية والدور الريادي لمشروعه الفكري، تطرح مجموعة من الأسئلة تتشكل من خلالها إشكالية هذه الدراسة:

- ما وظيفة الحركة الصهيونية في إطار فكر الحداثة؟
- ما العلاقة بين النازية والصهيونية والحداثة الغربية؟
- ما هي دلالاتُ رؤيته حتميّة زوال إسرائيل؟
- ما أبرز نتائج مشروع المسيري الفكري؟

مصطلحات ومفاهيم: الصهيونية، الحداثة، ما بعد الحداثة، الإمبريالية العلمانية، النازية، الإبادة، حداثة إسلامية.

مقدمة:

التحق المسيري في الأربعينيات بجماعة الإخوان المسلمين لمدَّة عامين، ثم انضم لهيئة التحرير، وفي فترة دراسته الجامعية انضم للحزب الماركسي، وتأثر بقضاياه الكبرى ومنها فلسطين، وعلى مدى رحلة فكرية استغرقت أكثر من ثلاثين عاماً عاد مرة أخرى إلى الإسلام، لا كعقيدة دينية وشعائر، وإنما كرؤية للكون وللحياة ومشروع معرفي شبه متكامل، ارتكز على أمرين:

الأول نظري: نقد الفلسفة المادية والإمبريالية العلمانية الشاملة والحداثة، وما بعد الحداثة، حيث المراحل القصوى لتفكيك الكائن البشري وإدخاله دوامة العدمية واللامعنى والدمار النفسي والمادي. صدر له في نقد فكر الحداثة: **إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد، العالم من منظور غربي، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، والحداثة وما بعد الحداثة.**

الثاني تطبيقي: انطلقت أسسه النظرية لمعالجة مشكلات الحداثة وما بعد الحداثة من ظاهرة الصهيونية باعتبارها جزءاً من فكر الحداثة، لتتكوّن لديه المبررات المعرفية لموقفه التطبيقي من ظاهرة الصهيونية التي مثلت دراسة حالة، في إطار مشروعه النظري، حيث رصد الصهيونية، بشكل دقيق، وعمل على تعريف المصطلحات الصهيونية: العدو الإسرائيلي، حركة الاستيطان واليهودية... وتحليل أدواتها التاريخية منذ بدء تشكيل جماعاتها، وصولاً إلى الصهيونية الاستعمارية وكل ما يتعلق بهذا الكيان، وبالحضارة الغربية والقوة التي أوجدته ولم يغفل عن دراسة ظواهر أخرى معها، كالنازية والفاشية وغيرها من النظم.

شكّل اهتمامه بقضية المسلمين الأولى، دافعاً قوياً لرغبته في تأصيل ظاهرة الصهيونية، وظهور دولة إسرائيل والصراع العربي الإسرائيلي. وكان أول كتبه هو "**نهاية التاريخ: مقدمة لدراسة بنية الفكر الصهيوني**"، صدر بعدها "**موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية: رؤية نقدية**".

أولاً: أدوات المنهج لدى المسيري

يستخدم المسيري في منهجه أدواتٍ لدراسة للصهيونية كظاهرة سياسية–اجتماعية ترتكز على المفاهيم الأساسية لفكر الحداثة، التي هي جزءاً منها. فالتصور الكلّي للمنهج العلمي في نظره يميّز بين المبدع، والناقل. "فصاحب الفكر هو إنسان قد طوّر منظومة فكرية تتسم أجزاؤها بقدر من الترابط والاتساق الداخلي. أما ناقل الأفكار: فهو إنسان ينقل أفكاراً متناثرة لا يربطها بالضرورة رابط، تنتمي كل فكرة إلى منظومة فكرية مستقلة"[1].

استخدم في تحقيق منهجه أدوات عدة منها:

[1] عبد الله المسيري، اليهود أنثروبولوجيا: ١٠

١- **نحت المصطلح: النحت** هو اشتقاق كلمة من كلمتين أو أكثر، على أن يكون هناك تناسب في اللفظ والمعنى بين المنحوت له والمنحوت منه. وقد أجازته المجامع اللغوية العربية، إن صياغة مفاهيم ومصطلحات جديدة جاءت حاجة ضرورية للتعبير عن التصورات الكلية التي استخلصها بالاستقراء الحدسي، فبعض المصطلحات جديدة بحكم المنهج، لا توجد لها ألفاظ في اللغة تترجم معناها، فكان لا بد من نحت المصطلح كمثال على ذلك: "الحوسلة" "حوسل" اختصاراً لعبارة "تحويل الشيء إلى وسيلة" Instrumentalization، فنحت كلمة "حوسلة" جاء لدواعي الإيجاز اللغوي، حيث عبارة "تحويل كذا إلى وسيلة" عبارة طويلة ولا يمكن توليد مصطلحات منها و"حوسل" فعل متعد بمعنى حول الشيء أو الإنسان إلى وسيلة، و"الحوسلة" على غرار "بسملة" من "بسم الله الرحمن الرحيم" و"حوقل" من "لا حول ولا قوة إلا بالله"[٢].

٢- **إيجاد مصطلحات جديدة:** ظهور مصطلحات جديدة مثل: "المادية الحلولية"، "المادية الصلبة"، "المادية السائلة"، "الجماعات الوظيفية"، "العلمانية الجزئية"، و"العلمانية الشاملة"... الخ.

٣- **تعريف دقيق للمفاهيم:** لإبراز جوانبها الإشكالية كعرض الموسوعة لظاهرة يهود الاتحاد السوفياتي (سابقاً)، من خلال عدة مداخل: تاريخ اليهود، وتوزيعهم الوظيفى، وأعدادهم، وأسباب هجراتهم وانتماءاتهم السياسية والفكرية فى كل من روسيا القيصرية وروسيا السوفياتية. كما تحدث عن عدة مداخل أخرى منها:

- أنواع يهود الاتحاد السوفياتي: قراؤوين – الكرمشاك – جورجيون – يهود البايشية – يهود الجبال – يهود بخارى...).
- موقف ماركس وإنجلز والبلاشفة من المسألة اليهودية.
- علاقة اليهود بالفكر الاشتراكي وتطور الرأسمالية الغربية.

٤- **إسقاط المصطلحات المتحيزة:** وتغييرها بمصطلحات بديلة أكثر دقة وحيادية بعد أن كانت الأولى المستخدمة تجسد التحيزات الصهيونية والغربية. وتفسيراً منها:

- "الشعب اليهودي" الذي يفترض أن اليهود يشكلون وحدة عرقية ودينية وحضارية متكاملة، بمصطلح "الجماعات اليهودية".
- "الشتات" استخدم العبارة المحايدة "أنحاء العالم".
- "التاريخ اليهودي" استخدم "تواريخ الجماعات اليهودية".

٥- **الصور والنماذج المجازية في النظرة إلى العالم**

يعتمد المسيري على أداة منهجية "النموذج التحليلي"، تمّ استقراؤه من الظواهر، بهدف الوصول إلى تعريف للعلمانية الشاملة من خلال تجاوز التسميات والتعريفات والمصطلحات والمفاهيم والظواهر. ويستخدم لذلك:

---

[٢] عبد الله المسيري، الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ: ٢٥٢.

- التعريف/النموذج الذي تم تجريده في قراءة جوانب أخرى من الواقع. وهذا المنهج لا يأخذ شكل خط مستقيم، وإنما حلزوني: من الظاهرة (المصطلح) إلى النموذج، ومن النموذج إلى الظواهر والمصطلحات الأخرى[٣].
- "النماذج التحليلية"، وهو بنية تصورية يجردها العقل البشري من كم هائل من العلاقات والتفاصيل والوقائع والأحداث، فيستبعد بعضها لعدم دلالتها (من وجهة نظر صاحب النموذج) ويستبقي البعض الآخر، ثم يرتبها وينسقها بحيث تصبح مترابطة بشكل يماثل العلاقات الموجودة بالفعل فنتصور أنه كامن في عناصر الواقع ينظمها ويعطيها شكلها وهويتها"[٤].

يعتمد هذا النموذج على تعبيرات مجازية تربط الإدراك الإنساني بالظواهر الإنسانية المجردة. "ونحن نذهب إلى أن المجاز في أكثر الأحيان هو جزء من نسيج اللغة، واستخدامه أمر حتمي في معظم عمليات الإدراك والإفصاح، خصوصاً تلك التي تتناول الظواهر التي تتسم بقدر عال من تركيب"[٥].

ويوضح أن الصور المجازية الأساسية عن العالم، في الفكر الغربي، آلية وعضوية، وكلتاهما مادية غير إنسانية وإن اختلفتا في طبيعة عمليهما. إن الإنسان يدرك العالم من خلال عدة صور مجازية تعبر عن نماذج إدراكية، من أهمها الصورتان المجازيتان الآلية والعضوية اللتان تجسدان نموذجين أساسيين:

الأول: تصور العالم على هيئة كائن حي ينمو بشكل عضوي.

الثاني: تصور العالم على هيئة آلة تتحرك بشكل رتيب[٦].

٦- <u>الجماعات الوظيفية</u>

مفهوم الجماعة الوظيفية عند المسيري هو أداة منهجية، نموذج معرفي، يستخدمه لتحليل الدور اليهودي والصهيوني بشكل عقلاني تماما. يعرّف "الجماعة الوظيفية" بأنها مجموعات بشرية صغيرة يقوم المجتمع التقليدي بإسناد وظائف شتى إليها، يرى أعضاء هذا المجتمع، أنه لا يمكنهم الاطّلاع بها لأسباب مختلفة. وقد تكون هذه الوظائف:

- مشينة في نظر المجتمع ولا تحظى بالاحترام في سلم القيّم (التنجيم، البغاء، الربا).
- متميزة ومهمة (الطب - خصوصاً أطباء النخبة الحاكمة، القتال).

وقد يتطلب معرفتها قدراً عالياً من الحياد والتعاقدية، لأن المجتمع يريد الحفاظ على قداسته وتراحمه ومثالياته (التجارة والربا). من هنا يلجأ المجتمع إلى:

---

[٣] عبد الله المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة: ٨-٩.

[٤] عبد الله المسيري، الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ: ٢٢٩.

[٥] عبد الله المسيري، اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود: ١٣.

[٦] م.ن.: ٢٨.

– استخدام العنصر البشري الوظيفي لملء فجوة أو ثغرة، تنشأ بين رغبات المجتمع وحاجاته من ناحية ومقدراته على إشباع هذه الرغبات من ناحية أخرى (الحاجة لمستوطنين جدد لتوظيفهم في المناطق النائية – خبرات غير متوفرة – الحاجة إلى رأس مال).

– إسناد الوظائف ذات الحساسية الخاصة وذات الطابع الأمني (حرس الملك – طبيبه – السفراء – الجواسيس) إلى أعضاء الجماعات الوظيفية. ويمكن أن تكون الوظيفة التي تسند إلى أعضاء الجماعة الوظيفية مشينة ومتميزة وحساسة في آن واحد[٧].

يتوارث أعضاء الجماعة الوظيفية الخبرات في مجال تخصصهم الوظيفي عبر الأجيال ويحتكرونها، بل ويتوحدون معها، وبعد أن يتم استيراد أو تجنيد العنصر الوظيفي يحدث ما يلي:

أ) العلاقة التعاقدية.

ب) العزلة والغربة والعجز.

ج) الانفصال عن الزمان والمكان، والإحساس بالهوية الوهمية.

د) ازدواجية المعايير والنسبية الأخلاقية.

هـ) الحركية.

و) التمركز حول الذات والموضوع.

وأعضاء الجماعات الوظيفية هم شخصيات متحوسلة منعزلة مغتربة، لا جذور لها ولا ولاء، وهم ينظرون إلى أنفسهم في علاقتهم بالمجتمع المضيف باعتبارهم مادة توظف. وتكون رؤية أعضاء الجماعات الوظيفية في الغالب رؤية حلولية كمونية واحدية، فالحلولية تجعل عضو الجماعة الوظيفية موضع الحلول الإلهي (مكتفياً بذاته، مرجعية ذاته) عضواً في شعب مختار، مما يجعل من السهل عليه تحمل وضعه المؤلم والدخول في علاقة تعاقدية صارمة لا تراحم فيها مع المجتمع[٨].

يوضح المسيري علاقة الجماعات اليهودية بظهور العلمانية، إذ ساهم أعضاء الجماعات اليهودية في حمل الأفكار العلمانية ونشرها. ولم يفعلوا ذلك رغبة منهم في تدمير العالم وإيذاء العباد، ولكن تحركوا كجماعة في إطار منظومة اجتماعية غربية تتجاوز إرادتهم ورغباتهم وأهواءهم. إلا أن ذلك لا يعفيهم من المسؤولية الخلقية عن أفعالهم، على المستوى الفردي، وهي تختلف عن التفسير السوسيولوجي للظواهر.

ومن المعروف أن أعضاء الجماعات اليهودية اطّلعوا بدور الجماعات الوظيفية الوسيطة، وهو ما ولّد لديهم نزعة حلولية خلقت لديهم استعداداً كامنا للعلمنة. مما جعلهم واحداً من أهم عناصرها المباشرة في المجتمع الغربي. والعلمنة،

---

[٧] عبد الله المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة: ٢٦٩.

[٨] م.ن.: ٢٧٠-٢٧٢.

في أحد جوانبها، وهي تطبيق القيمّ العلمية والكمية الواحدية على مجالات الحياة كافة، حتى ينتهي الأمر بتحييد العالم تماماً وترشيده وتحويله إلى حالة السوق والمصنع. من هنا يتضح الدور المهم لليهود، في علمنة المجتمع، وتوسيع نطاق القطاع الاقتصادي التبادلي، وكانوا عنصرا شديد الحركية في المجتمع الوسيط الذي يتسم بالسكون[٩].

ومن خلال مفهوم الجماعات الوظيفية، وارتباطه بنقده التحليلي للحضارة الغربية حلّل المسيري بشكل تفصيلي كافة الجوانب المتعلقة باليهودية والصهيونية، ومنها قضية إبادة اليهود وتحليله لمستقبل إسرائيل تأسيساً على دراسته التفصيلية لليهودية والصهيونية.

يطرح المسيري وظيفة الحركة الصهيونية في إطار فكر الحداثة في ظل مفهوم "**الجماعات الوظيفية**"، وطوّرها لتأسيس نظرية حداثة إسلامية جديدة. من خلال رؤية تركيبية للمشروع الصهيوني في موسوعته "**اليهود واليهودية والصهيونية – نموذج تفسيري جديد**" صنّف الخطاب التحليلي العربي الصهيونية باعتبارها حركة أو ظاهرة يهودية، وبدأ يدرسها في ضوء التوراة والتلمود، وأخيراً بروتوكولات حكماء صهيون. فالصهيونية جزء من التشكيل الإمبريالي الغربي في جانبه الاستيطاني الإحلالي، الذي هو بدوره تعبير عن رؤية علمانية شاملة تحوّل كل شيء إلى مادة استعمالية.

إن الصهيونية من أهم العقائد العلمانية صدرت عن عدة أيديولوجيات علمانية غربية مثل الداروينية والنيتشوية، بلباس يهودي. ووضعت موضع التنفيذ من خلال آليات إمبريالية علمانية غربية. وطرحت نفسها كبديل للعقيدة اليهودية، بعد استخدامها القيمة التعبوية للخطاب الديني، فحولته إلى ديباجات، مع التعديل.

جاء المسيري برؤية موضوعية جديدة، لأبعاد المشروع الصهيوني، مختلفة عن الرؤية الغربية المتأثرة بما يسمى "التاريخ المقدس" من خلال دراسة تحليلية، ونقدية لفكر المجتمع الغربي **(العلمانية والحداثة الغربية)**، فعمل على تقديم تاريخ عام للعقيدة والجماعات اليهودية وللحركة الصهيونية، ووضعها فى إطار التاريخ الإنسانى العام، وربط تاريخ الصهيونية، كعقيدة وحركة وتنظيماً، تاريخ الفكر الغربي والإمبريالية الغربية. وبالظروف العالمية والفلسفية والحضارية. فجاءت موسوعته "**اليهود واليهودية والصهيونية**"، لتؤكد أهمية التراث العبراني القديم (فيما قبل ظهور اليهودية)، وبطولاتهم غير الدينية وغير الأخلاقية، التي حوّلت أبطال العهد القديم إلى أبطال قوميين"[١٠].

ويوضح المسيري خطأ النّسب إلى اليهود قوى عجائبية، في كتابه "**اليد الخفية**" الذي يستعرض فيه الحركات اليهودية الهدامة السرية التي تدرس التلمود والماسونية والسحر عند اليهود، محاولة منه لتفسير بعض هذه الجوانب، حتى لا يسقط العرب في فكرة المؤامرة فينسبوا لليهود كل الشرور، والقوة العجائبية. ويحاول إثبات أن اليهود بشر، وأن

---

[٩] م.ن.: ٣٠٩.

[١٠] م.ن.: ٣٩٧.

الظواهر المحيطة بهم بشرية ويجب ألا نخاف منهم، بل نعرف جيداً أنه يمكن هزيمتهم. أما المنطق التآمري فينسب لليهود قوى عجائبية معجزة تجعل منهم شياطين، فإن كانوا كذلك، يجب الاختباء وعدم محاربتهم.

٧- **العلاقة بين النازية والصهيونية والحداثة الغربية** يستخدم المسيري النازية كنموذج، فيقدم أمثلة عديدة على الإمبريالية الحداثية المتمثلة في الحركة الاستعمارية والاحتلال الاستيطاني في القارات الخمس، وبذلك يصبح الطريق ممهداً للكشف عن سمات الحركة الصهيونية باعتبارها حالة نماذجية تخضع تماماً للتحليل العقلي.

ويوضح هذا التصور بقوله: "ندرس البنية العميقة للنّازية، ونضعها في سياقها الحضاري الغربي ونبيّن علاقتها بالصهيونية على مستوى الخطاب المعرفي العميق، ونستعيد الإمبريالية كمقولة تحليلية أساسية في كل الظواهر الغربية الحديثة. فنحن نذهب إلى أنه لا يمكن فصل الحضارة الغربية الحديثة بعلمانيتها الشاملة ورؤيتها العقلانية المادية عن نزعتها الإمبريالية"[١١].

ويظهر في إطار رصده للظواهر المشتركة بين الصهيونية والنازية سمّة أساسية عقلانية الإجراءات والوسائل، وقد أشار ماكس فيبر لهذه الظاهرة في كتاباته. فعملية العقلنة، أو الترشيد التي يتحدث عنها تنصب على الوسائل والأدوات فحسب، أما الأهداف فهي أمر متروك لاختيار الأفراد، ومعسكرات الاعتقال والتعذيب، سواء في ألمانيا النازية أم في إسرائيل الصهيونية، هي مثال جيد على هذا الجانب في الحضارة الغربية. فهذه المعسكرات منظمة بطريقة "منهجية" تحسب فيها المكاسب والخسارات، والمدخلات والمخرجات. ولعل أكبر دليل على أن النازية جزء أصيل من الحضارة الغربية هو أن الرد الغربي على معسكرات الاعتقال والإبادة لليهود لم يكن مغايراً، في بنائه وسماته الجوهرية، للجريمة النازية. فالغرب يحاول حلّ المسألة اليهودية بإنشاء الدولة الصهيونية على جثث الفلسطينيين، وكأن جريمة أوشفيتس يمكن أن تمحى بارتكاب جريمة دير ياسين أو مذبحة بيروت[١٢].

٨- **احتكار الإبادة**

إبادة اليهود عند المسيري على أيدي النازيين، هي احتكار الصهاينة للإبادة وأيقنتها وتحويلها إلى مفهوم نهائي يشير إلى ذاته. ويعرض تصوراته دون التقليل بأية حال من فداحة الجرم النازي ضد اليهود (والسلاف والغجر وغيرهم)، ولكن دون السقوط، بقدر ما هو ممكن إنسانياً، في التحيزات والرؤى والمقولات السائدة في الخطاب الغربي بشأنها، فالتقليل من حجم الجريمة النازية يشكل فشلاً معرفياً وأخلاقياً.

- من الناحية المعرفية: يعني فشل المرء في إدراك واحدة من أهم سمات الحضارة الغربية الحديثة، أي نزعتها الإبادية.
- من الناحية الأخلاقية: فهو فشل الإنسان المسؤول الذي رأى جريمة ترتكب ضد مجموعة بشرية فآثر الصمت وزيف الحقائق حتى لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

---

[١١] عبد الله المسيري، الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ : ١٦.

[١٢] م.ن.: ١٤.

يوظف الصهاينة واقعة الإبادة في خدمة أهدافهم الإعلامية، وابتزاز الحكومات، وفي تبرير الغزو والاستيطان والإرهاب. ولكن هذه جميعاً اعتبارات عملية غير معرفية وغير أخلاقية[١٣]. كما يحاولون احتكار دور الضحية لليهود وحدهم دون غيرهم من الجماعات أو الأقليات أو الشعوب، بحيث تصور الإبادة النازية جريمة موجهة ضدهم ولهذا يرفضون:

– رؤية الإبادة النازية تعبيراً عن نمط تاريخي عام يتجاوز الحالة النازية والحالة اليهودية.

– مقارنتها بما حدث للغجر أو البولنديين على سبيل المثال، أو لسكان أمريكا الأصليين على يد الإنسان الأبيض أو ما يحدث للفلسطينيين على أيديهم.

تثبت الدراسات التاريخية أنّ الإبادة النازية لم تكن موجهة ضد اليهود وحسب، فعدد ضحايا الحرب العالمية الثانية بلغ ما بين خمسة وثلاثين وخمسين مليوناً. وإن أكبر معسكرات الاعتقال أوشفيتس والتركيز النازي كان على البولنديين والاشتراكيين واليهود والغجر لتفريغ بولندا جزئياً وتوطين الألمان فيها[١٤].

ويرى المسيري أنّه من غير المقبول حظر البحث العلمي في هذه القضية، فالإعلام الغربي والصهيوني يوجّه الاتهام لكل من ينكر الإبادة أو يثير الشكوك حول موضوع الملايين الستة حتى لو كان من العلماء المتخصصين، مع العلم بأنّ العديد من العلماء الإسرائيليين يشككون بهذا الرقم.

يجب أن يميز الإعلام الغربي بين الدراسات العلمية التي تخضع للنقد العلمي وغيرها، وأن تفتح كل الملفات السريّة، والأرشيفات الغربية والشرقية.

ويعرض المسيري نموذج ديمانجوك الذي اتهم بأنه "إيفان الرهيب"، الذي اشترك في إبادة اليهود وغيرهم في معسكر تربلينكا، لتكون مثلاً على الخطوات المطلوب اتخاذها. فقد كانت كل الدلائل التي جمعها الأمريكيون والإسرائيليون تبيّن أن ديمانجوك هو إيفان الرهيب، وأصدرت المحاكم الإسرائيلية حكماً ضده بالفعل. ولكن بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، ظهرت وثائق تبيّن بما لا يقبل الشك أن هناك شخصاً آخر هو الذي قام بعمليات الإبادة وأفرج عن ديمانجوك[١٥].

٩- <u>خطوات التلاعب بقضية الإبادة النازية:</u>

يكشف المسيري عن خطوات عملية التلاعب بقضية الإبادة النازية كما يلي[١٦]:

١- بالنسبة للمسؤول عن الجريمة:

تخضع الإبادة النازية لعمليتين متناقضتين:

---

[١٣] م.ن.: ١٦-١٧.

[١٤] م.ن.: ٩٤.

[١٥] م.ن.: ٩٨.

[١٦] م.ن.: ٩٩.

الأولى: تضييق نطاق المسؤولية إلى أقصى حد بحيث تصبح الإبادة النازية ليهود أوروبا جريمة ارتكبها الألمان وحدهم ضد اليهود.

الثانية: توسيع نطاق المسؤولية إلى أقصى حد بحيث تصبح الإبادة النازية ليهود أوروبا جريمة كل الأغيار، أو جريمة كل الألمان والأغيار، أو الألمان باعتبارهم أغياراً، أو الألمان بموافقة ومماالأة الأغيار.

٢- **بالنسبة للضحية:** تخضع الإبادة كذلك لعمليتين متناقضتين:

الأولى: تضييق نطاق الجريمة إلى أقصى حد بحيث تصبح موجهة ضد اليهود.

الثانية: تعميم الجريمة إلى أقصى حد بحيث تصبح جريمة موجهة ضد كل اليهود.

وبعد أن قام المسيري بتعريف الإبادة بهذه الطريقة، وأظهر التلاعب بالمستويات التعميمية والتخصيصية، وضبطها بما يتفق مع مصلحة الغرب، عرض أيقنة الغرب للإبادة، حتى لا يمكن التساؤل بشأنها، فهي مصدر المعنى النهائي.

وتأتي النتيجة لديه أنّه "تصبح قضية الإبادة، في الخطاب الصهيوني، نقطة نهائية ميتافيزيقية تتجاوز الزمان والمكان والتاريخ، فهو (انطلاقاً من مفهوم الشعب المختار والحلولية اليهودية التي تسبغ القداسة على اليهود) يعمّق عملية التخصيص، فتتحول الإبادة من قضية اجتماعية تاريخية إنسانية إلى إشكالية غير إنسانية تستعصي على الفهم الإنساني، وإلى سر من الأسرار يتحدى العقل، وإلى نقطة نهائية ميتافيزيقية تتجاوز الزمان والمكان والتاريخ. والاختلاف هنا في الدرجة وليس في النوع، إذ تظلّ هناك وحدة أساسية، ولذا لا يجوز في الخطاب السياسي الغربي والصهيوني تشبيه إبادة أية أقلية بإبادة اليهود"[١٧].

يرى المسيري أن الأمر يحتاج إلى المزيد من الأبحاث العلمية، والكشف عن الوثائق المتعلقة بالموضوع، ليتكوّن رأي يقيني بخصوصه، فمعسكرات الاعتقال والسخرة والإبادة حقيقة مادية لا شك فيها، وكذلك أفران الغاز. ويتوقف المسيري عند حجم الأفران ومدى كفاءتها وعدد ضحاياها فهي موضوعات خلافية. ويترك دلالتها المادية قابلة للاجتهاد والفحص العلمي والوثائقي كما يدعو إلى إعادة قراءة الوثائق وخاصة السرية منها.

١٠- **<u>عشر علامات لزوال إسرائيل</u>**

يطرح المسيري تأسيساً على دراسته لليهودية والصهيونية عشر علامات لزوال "دولة إسرائيل":

- تآكل المنظومة المجتمعية للدولة العبرية بعدما فشل مصطلح "الصهر" في منظومة القومية التي كان قد حددها ديفيد بن جوريون مؤسس "الدولة العبريّة".
- الفشل في تغيير السياسات الحاكمة "الإسرائيلية" فهي من فساد إلى فساد.
- كثرة النازحين لخارج "إسرائيل" فقد أكدت الإحصائيات نزوح مليون "إسرائيلي" من إجمالي ستة ملايين قدموا إليها.
- انهيار نظرية الإجماع الوطني والعداء المستمر بين الأحزاب الدينية الشرقية والغربية والوسطية.

---

[١٧] م.ن.: ١٠١.

– فشل كبار الحاخامات في تحديد ماهية الدولة اليهودية.

– عدم اليقين من المستقبل الخاص بالدولة متمثلاً في مقولة الرئيس "الإسرائيلي" شيمون بيريز عندما سأله أحد الصحافيين: هل ستبقى إسرائيل ٦٠ عاماً أخرى؟ فرد عليه: "اسألني هل ستبقي ١٠ سنوات قادمة؟!".

– العزوف عن الحياة العسكرية والهرب منها، وبذلك تنهار المؤسسة العسكرية.

– عدم القضاء على السكان الأصليين المتمثلين في الفلسطينيين.

– تحول "إسرائيل" إلى عبء على الإستراتيجية الأمريكية.

– استمرار المقاومة الفلسطينية.

– العداء المستمر بين الأحزاب الدينية الشرقية والغربية والوسطية.

انطلاقاً من ذلك يتبين أن المسيري يؤسس مقولاته على أسس نظرية لها قيمتها المعرفية، ثم يبني عليها بشكل تحليلي تركيبي تصوراته الواقعية، وهو ما يسمى بالفكر التأسيسي، انتقل فيه من التفكيك إلى البناء، وضع أسس تفسيرية ونماذج تحليلية كوسيلة، كأداة معرفية، فجاءت نقداً للرؤية الحداثية الغربية وما بعد الحداثة.

ويترتب على مشروع المسيري الفكري النتائج التالية:

الأولى: أن الصهيونية هي أحد تجليات الرؤية الغربية الحداثية للعالم. وصراعها مع العرب، هو صراع بين الرؤية الحداثية الغربية والرؤية الإسلامية.

الثانية: ضرورة العمل على إنشاء رؤية حداثية إسلامية انطلاقاً من فكرنا الإسلامي المعاصر.

الثالثة: حتمية زوال الكيان الصهيوني.

١١- **<u>أهم كتب المسيري في الفكر الصهيوني:</u>**

١. نهاية التاريخ: مقدمة لدراسة بنية الفكر الصهيوني (مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة ١٩٧٢؛ المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٩).

٢. موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية: رؤية نقدية (مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة ١٩٧٥).

٣. الأقليات اليهودية بين التجارة والادعاء القومي (معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٥).

٤. العنصرية الصهيونية: (سلسلة الموسوعة الصغيرة، وزارة الثقافة والفنون، بغداد ١٩٧٩).

٥. اليهودية والصهيونية وإسرائيل: دراسة في انتشار وانحسار الرؤية الصهيونية للواقع (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٦).

٦. الإيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة (جزءان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت ١٩٨١ – طبعة ثانية في جزء واحد ١٩٨٨).

٧. الانتفاضة الفلسطينية والأزمة الصهيونية: دراسة في الإدراك والكرامة (منظمة التحرير الفلسطينية، تونس ١٩٨٧؛ المطبعة الفنية، القاهرة ١٩٨٨؛ الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠).

٨. الاستعمار الصهيوني وتطبيع الشخصية اليهودية: دراسات في بعض المفاهيم الصهيونية والممارسات الإسرائيلية (مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ١٩٩٠).

٩. هجرة اليهود السوفييت: منهج في الرصد وتحليل المعلومات (دار الهلال، كتاب الهلال، القاهرة ١٩٩٠).

١٠. أسرار العقل الصهيوني: (دار الحسام، القاهرة ١٩٩٦).

١١. الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ: رؤية حضارية جديدة (دار الشروق، القاهرة ١٩٩٧، ١٩٩٨، ٢٠٠١).

١٢. من هو اليهودي؟: (دار الشروق، القاهرة ١٩٩٧، ٢٠٠١، ٢٠٠٢).

١٣. موسوعة تاريخ الصهيونية: (ثلاثة أجزاء، دار الحسام، القاهرة ١٩٩٧).

١٤. اليهود في عقل هؤلاء: (دار المعارف، سلسلة اقرأ، القاهرة ١٩٩٨).

١٥. اليد الخفية: دراسة في الحركات اليهودية، الهدامة والسرية (دار الشروق، القاهرة ١٩٩٨؛ الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠؛ دار الشروق ٢٠٠١).

١٦. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد (ثمانية مجلدات، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٩).

١٧. الأكاذيب الصهيونية من بداية الاستيطان حتى انتفاضة الأقصى: (دار المعارف، سلسلة اقرأ، القاهرة ٢٠٠١).

١٨. الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى: (دار الشروق، القاهرة ٢٠٠١).

١٩. من الانتفاضة إلى حرب التحرير الفلسطينية: أثر الانتفاضة على الكيان الإسرائيلي (عدة طبعات: القاهرة– دمشق– برلين– نيويورك– نشر إلكتروني، ٢٠٠٢م).

٢٠. انهيار إسرائيل من الداخل: (دار المعارف، القاهرة ٢٠٠٢).

٢١. الجماعات الوظيفية اليهودية: نموذج تفسيري جديد (دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١، طبعة ثانية ٢٠٠٣).

٢٢. مقدمة لدراسة الصراع العربي–الإسرائيلي: جذوره ومساره ومستقبله (دار الفكر، دمشق ٢٠٠٢).

٢٣. البروتوكولات واليهودية والصهيونية: (دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٣).

٢٤. في الخطاب والمصطلح الصهيوني (دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٣ – طبعة ثانية ٢٠٠٥).

٢٥. الإدراك الصهيوني للعرب والحوار المسلح (دار الحمراء، بيروت ٢٠٠٣).

٢٦. التجانس اليهودي والشخصية اليهودية (دار الهلال، كتاب الهلال، ٢٠٠٤).

٢٧. الموسوعة الموجزة: (مجلدان، دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٤).

٢٨. الصهيونية وخيوط العنكبوت (دار الفكر، دمشق ٢٠٠٦)